

● العلم بحقيقة الذات الإلهية :

وأعظم أنواع الغيب ، وأبعدها عن إدراك الإنسان وإحاطته : العلم بحقيقة الذات الإلهية المقدسة ، المتعالية على المخلوقات ، المتصفة بكل كمال ، المنزهة عن كل نقص .

دعا القرآن العقل إلى الاعتراف بقصوره الذاتي عن إدراك حقيقة ذات الله جلَّ شأنه . بحسبه أن يدرك وجوده تبارك وتعالى ، ويدرك وحدانيته ، ويدرك تفرد بالكمال الأعلى ، وروعة تدبيره لهذا الكون ، واتصافه بالعلم والحكمة ، والمشئنة والقدرة ، والعزة والرحمة ، ونحو ذلك من صفات الكمال اللائقة بذاته سبحانه .

أما ما عدا ذلك ، فالعقل الإنساني أعجز من أن يحيط به ، ويدرك كُنْهه ، ولا عجب في ذلك ، فقد ثبت عجز الإنسان عن « معرفة الكُنْه » لكثير من الأشياء من حوله ، فهو يعرف آثارها ، ولا يعرف حقيقتها ، وأبرز مثال لذلك هو : الحياة نفسها ، التي لا يعرفها إلا بآثارها .

بل عجز الإنسان أن يحيط علماً بحقيقة نفسه ، وكيف يعمل عقله ؟ حتى ألّف أحد كبار علماء الكونيات - وهو حائز لجائزة نوبل في العلوم - كتاباً سمّاه « الإنسان ذلك المجهول » !

فإذا كان هذا شأن الإنسان مع نفسه ، فكيف يطمع أن يكتنه حقيقة الله الخالق المبدع ، وليس له مثال من الشاهد يمكن أن نقيسه عليه ، ولا يدخل تحت سلطان الخيال ، الذي يستطيع أن يركب صوراً يتوهمها ، وإن لم يكن لها وجود !

لهذا ذكر القرآن عجز الناس عن الإحاطة به جلَّ وعلا . يقول تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ (١) .

(١) طه : ١١٠